

بحار الأنوار

[320] العين " وهي تمر مر السحاب " أي تسير سيرا حثيثا سير السحاب، والمعنى: أنك لا ترى سيرها لبعدها أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعدها أطرافه، وذلك إذا أزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشي " صنع ا " أي صنع ا ذلك صنعا " الذي أتقن كل شيء " أي خلق كل شيء على وجه الاتقان. وفي قوله: " ما ينظرون " أي ما ينتظرون " إلا صيحة واحدة " يريد النفخة الأولى يعني أن القيامة تأتيهم بغتة " تأخذهم " الصيحة " وهم يخضمون " أي يختصمون في أمورهم، ويتبايعون في الأسواق، وفي الحديث: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم، والرجل يليط حوضه (1) ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم، وقيل: وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب أم لا ؟ " فلا يستطيعون توصية " يعني أن الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصال بشيء " ولا إلى أهلهم يرجعون " أي ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق، وهذا إخبار عما يلقونه في النفخة الأولى عند قيام الساعة، ثم أخبر سبحانه عن النفخة الثانية فقال: " ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث " وهي القبور " إلى ربهم " أي إلى الموضع الذي يحكم ا فيه لا حكم لغيره هناك " ينسلون " أي يخرجون سراعا فلما رأوا أهوال القيامة " قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا " أي من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياما ؟ ثم يقولون: " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " فيما أخبرونا عن هذا المقام، وهذا البعث. قال قتادة: أول الآيات للكافرين وآخرها للمسلمين، قيل: إنهم لما عاينوا أهوال القيامة عدوا أحوالهم في قبورهم بالاضافة إلى تلك رقادا، قال قتادة: هي النوم بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون، ثم أخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال: " إن كانت إلا صيحة واحدة " أي لم تكن المدة إلا مدة صيحة واحدة " فإذا هم جميع لدينا محضرون " أي فإذا الأولون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة " فاليوم لا تظلم نفس شيئا أي لا ينقص من له حق شيئا من حقه من الثواب أو غير ذلك، ولا يفعل به ما لا يستحقه من العذاب، بل _____ (1) أي مدره لئلا ينشف الماء.